لغة – كلام الاستلام: 2026/02/27 القبول: 2026/10/21 النشر: 2026/11/26

آليات تشكيل الأنساق المضمرة في رواية الرايات السوداء لنجيب الكيلاني

✍ الجودي بن خليل
جامعة أكلي محند أولحاج البويرة – الجزائر
d.benkhelil@univ-bouira.dz
مخبر قضايا الأدب المغاربي

✍ عيسى طيبي
جامعة أكلي محند أولحاج البويرة – الجزائر
a.taibi@univ-bouira.dz

ملخص البحث

يتناول الموضوع الرئيس عنصرا مهمًّا في النقد الثقافي؛ يتمثل في عنصر النسق المضمر في النص الروائي؛ وآليات تشكيل هذه الأنساق ؛ من خلال الجانب الشكلي والجانب المضموني (الأبعاد)، في رواية الرايات السوداء-انموذجًا-، للكاتب نجيب الكيلاني (1931-1995)؛ مبتدئًا بتعريف مفهوم الأنساق، ثمّ آليات تشكيل الأنساق، من حيث الشكل والمضمون، ثم خاتمة للمتن الروائي؛ ويهدف البحث إلى إبراز الأنساق في المدوّنة المدروسة، وآليات تشكيلها؛ وقد توصلت إلى أنّ مجمل أحداث الرواية تعبر عن خلفيات نسقية في تاريخ الأمة الإسلامية؛ بالتعرض إلى مرحلة تاريخية، من نهاية عهد الدولة الأموية، وبداية الدولة العباسية؛ كما تظهر بعض الأبعاد النسقية في الرواية؛ كالبعد الديني ممثلاً في شخصية ((الشيخ عبد الله))، الوجه الدعوي المعبر عن كلمة الحق؛ وكذا شخصية ((إبرهيم بن سليمان)) الأموية التي كانت مطلبًا للإنتقام من قبل علي بن أبي أميمة،لقتله والده،وفي الأخير عفا عنه .

الكلمات المفتاحية: الكيلاني،آليات، تشكيل، الأنساق المضمرة، الرايات السوداء.

LOUGKA - KALAM Reçu le: 27/02 / 2026 Accepté le: 21/10 / 2026 Published le: 26/11 / 2026

Mechanisms for forming implicit patterns in Naguib al-Kilani's novel "The Black Banners"

✍ Benkhelil djoudi
University akli mohand oulhadj bouira algeria
d.benkhelil@univ-bouira.dz
University akli mohand oulhadj bouira algeria

✍ Aissa taibi
University akli mohand oulhadj bouira algeria
a.taibi@univ-bouira.dz

ABSTRACT:

The main topic addresses an important element in cultural criticism: the element of the implicit system in the narrative text and the mechanisms of forming these systems, through the formal and the thematic aspects (dimensions), in the novel "The Black Banners" - as a model - by the writer Najib Al-Kilani (1931-1995). It begins by defining the concept of systems, then the mechanisms of forming systems, in terms of form and content, then a conclusion to the narrative text. The research aims to highlight the systems in the studied corpus and the mechanisms of their formation. It has been concluded that the overall events of the novel express systemic backgrounds in the history of the Islamic nation, by addressing a historical period, from the end of the Umayyad state and the beginning of the Abbasid state. Some systemic dimensions also appear in the novel, such as the religious dimension represented by the character of "Sheikh Abdullah," the preaching figure who expresses the word of truth. Likewise, the character of ((Ibrahim bin Suleiman)) Al-Akhmawi, who was the target of revenge by Ali bin Abi Umaima, for killing his father, and in Al-Askhir he pardoned him.

KEYWORDS: Al-Kilani, Mechanisms, Formation, Systems, Black Banners.

مقدمة:

عرفت الرواية العربية في مراحلها المختلفة العديد من الأنواع؛ فإلى جانب الرواية الواقعية، و الرواية الرومانسية، و البوليسية ذات البعد السياسي، والرواية التفاعلية ذات البعد الرقمي؛ والرواية التاريخية، ظهر نوع من الرواية ذات التوجه الإصلاحي المنبني على البعد الإسلامي والذي زاد من انتشارها في الآونة الأخيرة بأقلام روادها وحتىّ خصومها، ولعلّ من بينهم النّاقد عماد الدين خليل؛ إضافة إلى الكاتب والروائي نجيب الكيلاني، والذي كتب عديد الروايات؛ من بينها عذراء جاكرتا، عمالقة الشمال، ليالي تركستان، والرايات السوداء، هذه الأخيرة التي عرضت مرحلة تاريخية من عمر الأمة الإسلامية، تمثلت في ظروف انتقال الخلافة من الدولة الأموية إلى الدولة العباسية بزعامة (أبو مسلم الخراساني)، ولقد طرح هذا التحول السياسي والاجتماعي والثقافي للأمة العربية والإسلامية تغييرات على مستوى الطبقة الحاكمة، من خلال تغيير النظام السياسي والاجتماعي والثقافي ، وقد تماه معه تغير على مستوى المجتمع العربي والإسلامي، وهذه العلاقة أدت إلى تكون أنساق مضمرة داخل المكون الاجتماعي وهو ما نقلته الرواية، فما النسق المضمر الذي أنتجته الرواية المدروسة؟ وما تعارضه مع المعلن؟ لقد تم اختيار المنجز الروائي لعلاقته مع التخصص المدروس، وبغية تناول الموضوعات التي لم يتم التطرق إليها بشكل كاف من قبل دراسات في مجال النقد الثقافي، استهللت هذه الورقة البحثية، بتحديد مفهوم النسق، ثم النسق الثقافي؛ لأستعرض معمارية النص؛ ثم أتناول آليات تشكيل الأنساق من حيث نسقية اللغة، فالأنا والآخر، ثم تفجير المسكوت عنه، لأنتقل بعدها إلى أليات تشكيل الأنساق من خلال الأبعاد، ممثّلة في البعد الديني، والبعد التاريخي، و البعد العِرقي ؛ وبداية ما النسق المضمر الذي تنتجه الرواية؟ وما تعارضه مع المعلن ؟كيف يتشكّل؟ وما هي آلياته؟

1- مفهوم النسق:

ورد في معجم مقاييس اللّغة لابن فارس، ((نَسَقَ: النون والسين والقاف، أصل صحيح يدلّ على تتابع في الشيء، وكلامٌ نسقٌ: جاء على نظام واحد قد عُطف بعضه على بعض، وأصله قولهم: ثغرٌ نسق: إذا كانت الأسنان متناسقة متساوية)) (ابن فارس، 1399هـ/1979م، صفحة 420)[1]، هنا نجد أنّ كلّ ما تعلّق بالنظام والتتابع والتناسق فهو يدلّ على النسق، كمّا يعرّفه محمد مفتاح بقوله: ((النسق: عبارة عن عناصر مترابطة متفاعلة متمايزة تبعاً لهذا، فإنّ كل ظاهرة أو شيء ما يعتبر نسقاً دينامياً))(مفتاح، 2010، صفحة 135)[2]، فهو يتمثّل في عناصر لها عناصر مشتركة تتفاعل فيما بينها، وهي في حالة نشاط دائم وتجدّد؛ أو كما سمّاها محمد مفتاح نسقًا دينامياً،

كما عرفته الثقافة العربية على يد عبدالله الغذامي الذي أشار إلى أهمّ مصطلحاته؛ ألا وهو النسق الذي يعرّفه الغذامي كما سبق الإشارة إليه بقوله: ((... ما كان على نظام واحد، كما في تعريف المعجم الوسيط))(الغذامي ع.، 2005، صفحة 76)[3] ؛ فالنسق ينبني على وجود هيكلية واحدة، تتيح الحصول على صورة مطابقة لما هو متعارف. كما يعرّفه الغذامي من خلال وظيفته،((التي يتحدّد النّسق عبرها، وليس عبروجوده المجرّد، والوظيفة النسقية لا تحدث إلاّ في وضع محدّد ومقيّد، وهذا يكون حينما يتعارض نسقان أو نظامان من أنظمة الخطاب، أحدهما ظاهر والآخر مضمر، ويكون المضمر ناقضًا وناسخًا للظاهر)) (عبد الله،الغذامي، 2005، صفحة 77 بتصرف)[4] ؛ من خلال هذا التعريف نلاحظ إشارة الغذامي في التعريف بالنسق عندما يربطه بالوظيفة؛ أي الدور الذي يقوم به النّسق وفق إطار محدّد.

تناول الباحث اليامين بن تومي مصطلح "النسق " ، وأورد أنّ ((مصطلح النسق يحمل دلالات متعددة؛ لكن الموقوف على معناه قد يحيل إلى سياقين: فقد نعني به النظرية (théorie)، وقد يقصد به إطارًا أكثر عمومية، في إطار ما يعرف بنظرية الأنساق، أو النسق منظورًا إليه على أنّه شكلٌ من أشكال الخطاب le système comme forme de discours)) (بن تومي، 2017، صفحة 47)[5]؛ إذن فإنّ معنى النسق، إمّا يتعلق بالنظرية في حدّ ذاتها، أو الجانب النظري، أو يرتبط بصيغة، وهو تعريف آخر للنسق يرتبط بالنظام أو الكيفية التي يتمّ من خلالها تحديد المسار، ويرتبط بشكل من أشكاله بعلاقة خفيّة مضمرة توضح الخلفية كما أشار إلى ذلك عبد الله الغذامي من قبل.

1.1 النّسق الثقافي:

تناول العديد من الباحثين مفهوم النسق ؛ من بينهم الباحث نادر كاظم في كتابه (تمثيلات الآخر، صورة السود في المتخيل العربي الوسيط)، وقد أشار إلى مفهوم النّسق الثقافي الذي ((يتعذّر بالضبط تحديد اللّحظة التي وُلد فيها هذا المفهوم؛ ولكن ما هو في حكم المؤكّد أنّ هذا المفهوم من نتاج حقلين أساسيين هما الأنثروبولوجيا، والنقد الحديث، وتحديدًا من نتاج التداخل الثري بين هذين الحقلين في فكر الأنثروبولوجي الأمريكي المعاصر((كليفورد غيرتس Geertz Glifford)) (كاظم، 2004، صفحة 92)[6]؛ من خلال هذا التعريف، نجد أنّ النسق الثقافي قد نتج عن إتحاد حقلين مهمّين تمثلا في علم الأنثروبولوجيا بالإضافة إلى النقد الحديث، حسب الباحث نادر كاظم، ويضيف الأنثروبولوجي غيرتس بأنّه ((في الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع كما في النقد الحديث جرى استخدام مفاهيم قريبة من هذا المفهوم، بل كثيراً ما كانت تتداخل معه مثيرةٌ التباسًا في حقيقة المقصود بهذا المصطلح)) (كاظم، 2004، صفحة 92)[7]، وهنا يبرز تعريف آخر للنّسق الثقافي من حيث ربطه بعلم الاجتماع إضافة إلى الأنثروبولوجيا والنقد الحديث.

من ملامح النسق الثقافي؛ ظهور الخطاب الرسمي الذي ينظر باستعلاء إلى فئتين هشّتين في المجتمع؛ هما المرأة والأطفال؛ وتكمن هشاشة هاتان الفئتان ، من حيث القيام بشؤونهما والاستماع إلى انشغالاتهما؛ خاصّة المرأة في مناسبات تتعلّق بالتزكيات إلى هيئات رسمية فإنّه يخطب ودّ المرأة ويحاول إرضاءها بما يمنحه لها من امتيازات محدودة في ظروف معيّنة، لينال تزكيتها وتفويضها له بتمثيله لدى المجالس المنتخبة.

تعدّ الهويّة من ملامح النسق الثقافي، والتي تُعنى بموضوع التمييز بين شعوب تسكن أرضًا واحدة لكن بشرتها، وعقيدتها وحقوقها مختلفة؛ بالرغم من أنّ القوانين تساوي جماعات السّود والجماعات العِرقية والثقافية الأخرى؛ وكذلك بالنسبة للنّساء؛ فقد واجهنا، ((.. و تحركت النّساء ومثلهن المهمّشون والمقموعون والأقليّون، وصاركل فريق يعبّرعن هويّته وثقافته دون تردد) (الغذامي ع.، 2009، صفحة 44)[8]؛ إذن فإنّ مجمل هذه المكونات المجتمعية لم تقبل بواقعها، وراحت تطالب بواقع ثقافي أحسن، يكفل لها كرامتها، واستقلاليتها الثقافية في المجتمع.

ممّا سبق نستنتج أنّ مفاهيم النسق والمضمر تتعلّقان بإرادة المرسل إبلاغ رسالة إلى المتلقي وفق أسس ونظام معين، بحيث تستعمل معاني ورسائل خفية إلى المتلقي ، وهو ما نتناوله في المتن الروائي (الرايات السوداء) للكاتب نجيب الكيلاني؛ وبداية نستعرض معمارية النص الروائي .

2- معمارية النص (المجتزء السردي):

يتناول الكاتب نجيب الكيلاني في رواية (الرايات السوداء)، مرحلة تاريخية من عمر الأمة الإسلامية؛ من خلال ظروف انتقال الحكم من الدولة الأموية بخلافة (مروان بن محمد) الذي حاول الاحتفاظ بالخلافة في بني أمية ؛ لكن ذكاء العباسيين واستعمالهم فكرة حق أهل البيت النبوي في الخلافة ، باستعمال (الرايات السوداء) ، وتجاوزات بني أمية في معاملة الناس؛ خاصة الموالي منهم (غيرالعرب) ؛ جعل الناس تؤيد قيام دولة بني العباس؛ كما أنّ وجود علماء واجهوا تجاوزات حكام بني العباس في حق بعض المؤيدين لبني أمية؛ وتكمن عقدة الرواية في وجود شخصية (إبرهيم بن سليمان) التي كان يبحث عنها (علي بن أبي أميمة)، والذي قتل أباه في انتقام بني أميّة وقتلهم لمعارضيهم؛ فكان يبحث عن قاتل أبيه ؛ إلى أن اكتشف في نهاية الرواية أنّه الشخص الذي أواه في بيته ؛ وفي الأخير يقرّر العفو عنه، وفي هذا رسالة من الكاتب في إثبات قيمة التسامح بين طرفي النزاع في الأمة الإسلامية إبان تلك الفترة ، مابين بني أمية، وبني العباس .

من جانب آخر تناول طبيعة حياة الإماء والعبيد في تلك الفترة، وكيف كانوا يعاملون كسلعة يستعملها سادتهم متى أرادوا، وكيف أنّ للشعراء قيمة في التكسّب بشعرهم، وأنّهم بدون إلقاء

القصائد و انشاد الشعر، لا يستطيعون القيام بشؤونهم وتلبية متطلباتهم، مثلما وقع مع الشاعر"أبو لؤلؤة " في السّرد الروائي؛ وقد تضمنت الرواية لأحداث يمكن إجمالها في :

1.2- أهم أحداث الرواية:

تبتدئ الرواية الخيالية بحديث شخصية (لمياء) زوجة (علي بن أبي أميمة)، وهي لم ترى زوجها منذ شهور طويلة؛ بسبب الحرب بين بني أمية، وبين مؤيدي بني العباس بزعامة أبو مسلم الخراساني، في (بلاد خراسان)، ضد آخر خلفاء بني أمية (مروان بن محمد)؛ بالرغم من شخصيته القويّة الصلبة، ومحاولة إنقاض الدولة الأموية من السقوط، إلاّ أنّ الأسلوب الذي اتبعه أنصار (أبو مسلم الخرساني) في بلاد خراسان، وذلك برفع (الرايات السوداء) من أجل استرجاع حق آل البيت في الخلافة ؛ إضافة إلى معارضة طوائف أخرى من الخوارج وحتّى من الأمويين الذين صاروا يعارضون حكامهم؛ وهو ما مكّن بني العباس من تحقيقه في الأخير و قيام الدولة العباسية، وهذه الظروف هي الموضوع الرئيسي للرواية؛ كما أن اغتيال بني أمية لوالد (علي بن أبي أميمة)، جعله يحقد عليهم ويسعى للثأر من قاتل أبيه، الذي قدم إلى بيته صدفة، حسب ظروف أحداث الرواية؛ بحجة الإختباء عن أعين العباسيين حتى لا يقتلوه، وكان اسمه (إبرهيم بن سليمان) حسب ترتيبات السّارد ، وقد منحه اسم (حسان) ، و أثناؤ إقامته ببيت (علي بن أبي أميمة)، تعلّق بجارية (علي بن أبي أميمة)، (ياسمين) التي أحبّها أيضًا سيدها (علي بن أميمة) ؛ ولكنّه لم يستطع الفوز بها، كما أنّ وجود جارية أخرى لعلي بن أبي أميمة وتسمى (وعد) التي تعلّق بها الشاعر (أبو لؤلؤة) وتزوجها؛ ولكنّه لم يستطع تلبية جميع حاجاتها، فرفضته كزوج، وفي نهاية الرواية يكتشف (علي بن أبي أميمة) أنّ قاتل أبيه يقيم عنده، ويحاول قتله؛ لكنه يعفو عنه في نهاية الرواية في إشارة إلى نسق التسامح والعفو الذي يميز الدين الإسلامي، وكذا ضرورة التعايش بين المتصارعين من أجل المصلحة العامة للأمة ؛ وقد تمّ الحصول على رسائل السّارد في المتن الروائي (الرايات السوداء) وفق نسق تمّ تشكيله عبر آليات؛ فكيف تشكّل النسق، وما هي آليات تشكيله؟

3- آليات تشكيل الأنساق في النص الروائي ، (الرايات السوداء).

1.3- تشكّل الأنساق:

يتمّ تشكيل الأنساق عبر آليات؛ من خلال ربط بين طبيعة العلاقة بين فئات المجتمع، المختلفة كالمرأة والطفل؛ وهو ما أشار إليه عبد الله الغذامي عندما تحدث عن هاتين الفئتين في المجتمع العربي بصفة خاصة، وكيفية معاملتها من قبل الهيئات الرسمية في الدولة، " وكلنا نعرف كيف جرت معاملة (ألف ليلة وليلة) التي اعتبرت مما لا يليق إلا بالصبيان والنساء وضعاف النفوس، وهذه صفات تكشف عن النسق الثقافي الذي يتحرّك وفقه الخطاب البلاغي الرسمي في نظرته إلى الآخر المختلف

والضعيف كالمرأة والطفل"(الغذامي ع.، 2005، صفحة 58)[9]، وهي لا شكّ نظرة فوقية لبعض مكونات المجتمع ممثلاً في النساء والأطفال؛ كما أن النظرة إلى اللغة ترتبط بنسق خاص يجسد هويّة المجتمع؛ حيث " إنّ اللغة هي نسق أو نظام من العلامات الإشارية التي تعبر عن الأفكار.. "(ايزا برجر، 2003، صفحة 122)[10]؛ لأنّ النّسق يرتبط باللّغة التي تعبّر عنه وتوضحه، وهي كذلك تستعمله في إيصال الرسالة إلى المستقبِل لها ((...اعتقدوا أنّ الفنّ ((هو الشيء الوحيد الذي يتحوّل إلى أشكال مثالية وخيالية للنّسق السائد وفلسفة الحياة)) ، كما ذكر رينيه ويلك في كتابه "تاريخ النقد الأدبي الحديث 1750-1950 عن الأدباء والفلاسفة (فولتير(1872)، وروسو(1873)، وديدرو والموسوعيون (1878)، (ويلك، 2000، صفحة 285)[11]، وقد ظهر نقد باسم النقد السياقي contextual criticism، وهو نقد يسمى باسم النقد الجديد؛ وقد ظهر في الولايات المتحدة الأمريكية خاصة، وهو نقد شكلاني يدعو إلى قراءة النّص وتحليله بعيدًا عن تدخل أيّة عناصر خارجية؛ ومن بينها النصوص الأخرى)) (الرويلي و البازعي، دليل الناقد الأدبي، 2003، صفحة320،بتصرف)[12]، وبالتالي فهو نقد مباشر للنصوص بعيدًا عن أيّة تدخلات قد تطرأ في فهم النصوص،((.. إذ أنّ الخطاب الروائي خطاب يعتمد الآنية في تسلسل الأحداث بالعمل على خصائص تتعلّق بالشخصية وزمن السرد الذي تستغرقه الأحداث)) (الناصر، 2019، صفحة 07)[13]، وهو ما حاول نجيب الكيلاني تجسيده من خلال روايته (الرايات السوداء).

حاولت تقديم آليات تشكيل الأنساق الواردة في النص الروائي من خلال إبراز هذه الآليات وتتمثل في العناصر التالية :

1.1.3- اللغة (نسقية اللغة):

ترتبط نسقية اللغة المضمرة بالتعبير عن مكنونات النفس والرغبة في الوصول إلى ما تشتهي وتأمل الوصول إليه، بطريقة غير مباشرة ، وهي تمثل مشروعًا شموليًا؛ وقد تناول السّارد في المتن الروائي، استعمال اللغة كواسطة تعبير وبلوغ الأحاسيس ،وكذا نقل صور و إيحاءات ورسائل إلى المستقبلين ، وقد تجلى ذلك في الموقف الذي عاشته إحدى شخصياته، وهي شخصية (لمياء) التي لم تقابل زوجها ((علي بن أبي أميمة)) ، منذ مدة بسبب الحرب وما سببتها لها من معاناة فوصف هذه المعاناة ،بقوله : ((.. منذ شهور طويلة مريرة وهي لم تره، لعنة الله على الحرب وعلى السياسة، فهما سبب بعده عنها وحرمانها من أجمل لحظات عمرها)) (الكيلاني، 1434هـ.2013م، صفحة 03)[14] ؛ استغل الراوي هذه الوقفات في المنجز الروائي ليبرز لنا النسق المضمر في إيحاء يعبر عن كره الحروب، ومن سعى لإيقادها من السياسيين؛ لأنها تحرم الإنسان من أجمل لحظات الحياة؛ وهذا يرتبط بحب الحياة والتمسك بغريزة البقاء، ممّا يستدعي طلب اللعنة على من يتسبب في هذا المأساة للإنسان،

ومعنى اللعنة هي الطرد والإبعاد من رحمة الله ؛ وهو ما يتكرر في قول (لمياء)، عن زوجها علي بن أبي أميمة (..كان زوجي يكره الأمويين بادئ الأمر لخلاف في الرأي، أمّا منذ تلك الحادثة، فقد كرههم بسبب الرأي، وبسبب اغتيال أبيه؛ فقد تحوّل خلاف الرأي إلى حقد أسود .. وعندما ينغمس العربي في حمأة الحقد بسبب الكرامة أو الشرف .. ينسى كل شي ء حتى زوجه وأسرته، ولا يذكر إلاّ السيف والمعركة والدماء..)) (الكيلاني، 1434هـ/2013، صفحة 07)؛ فقد سرقت الحروب والنزاعات الفرحة من قلوب الناس ، وجعلتهم يعيشون في خوف وتوجس دائمين ، وهذا إيحاء من السارد بأن موقدي الحروب وداعميها لا يحبون الإنسانية جمعاء .

كما نجد نسقية اللغة المضمرة في الإحساس الذي خامر قلب (ياسمين) (أمة علي بن أبي أميمة) لما رأت (ميمون) وهو عبد (علي بن أبي أميمة)، فكان الإحساس بين عبد وأمة يشتركان في نفس الوضع الاجتماعي ، وفي هذا إيحاء من قبل السّارد أن التو افق يكون من نفس طبيعة التكوين، وقد وصف السّارد هذه اللحظات بقوله: ((.. و كأنما سقطت ياسمين من سماء وردية الأحلام إلى أرض صخرية قاسية وهي تستمع إلى صوت ميمون، وإلى وجهه الفاحم كالليل الدامس))(الكيلاني، 1434هـ/2013، صفحة 17، 18)؛

كما نجد النسق المضمر للغة في التعبير عن إحساس الأمة تجاه سيدتها، وهو ما عبّرت عنه ياسمين، و هي تتحدث عن مولاتها (لمياء)، ((ولم تستطع ((ياسمين)) أن ترفع عينيها إلى وجه مولاتها (لمياء))، بل سددت نظراتها صوب الأرض، وشعور بالإثم يسيطر عليها)) ، (الكيلاني، 1434هـ/2013م، صفحة 25) . إنه إحساس بالذنب تجاه مولاتها التي خانتها مع سيّدها ذات مرّة، وهو إيحاء من السارد بمرارة الخيانة من كل خائن لأمته .

- من أساليب نسقية اللغة المضمرة التي عالجها السارد الموقف من المتنازعين وغياب رؤية الحق مع من يكون ، وهو ما جسده السارد في حديث (علي بن أبي أميمة) حول حكام بني أمية وبني العباس ((.. أجل إن رجال بني أمية كانوا يتشبثون بالمبادئ، ودعاة العباسيين يتوسلون بالمبادئ، ودعاة العباسيين يتوسلون بالمبادئ، والحق ضائع وسط الغبار والسيوف المشرعة والدماء التي تسيل، والناس ينحازون إلى هؤلاء وأولئك ويحترقون ويموتون))، (الكيلاني، 1434هـ/2013، صفحة 40)، فقد استعمل السّارد المعجم اللغوي المكوّن من جملة استعارية، توحي بمدى الخلاف بين دعاة كلا الدولتين الأموية التي أوشكت على الزوال، والدولة العباسية التي قامت بعدها، وقد تمثل في تمسك كلا الطرفين بانفس المبادئ؛ بالرغم من تسبب هذا الخلاف في سفك دماء المسلمين، وضياع وحدتهم في مواجهة أعدائهم .

2.1.3 الأنا والأخر:

بستعير النسق المضمر كينونته ويثبت وجوده من خلال ثنائية الأنا و الآخر في (السادة، والعبيد) ، حينما تبدو الأنا ممثّلة في طبقة السادة، والآخر ممثلاً في طبقة العبيد، وكلا الطبقتين موجودتين في المجتمع الإسلامي آنذاك، وقد وظفهم الرو ائي من خلال شخصية (علي بن أبي أميمة)، كرمز للسيد الذي يملك الأرض والفرد، وطبقة العبيد والإماء ، وتمثلهم الجواري (ياسمين، ووعد)، وكذا العبد ((ميمون الحبشي))، وهم يمثلون الآخر ، وقد كانت العلاقة بين السيد والعبد، علاقة الانقياد والتبعية ويظهر ذلك، في حديث السّارد عن (ياسمين) التي قالت: ((((ليس لي سيد سوى مولاي ((علي بن أبي أميمة ..)))) ، (الكيلاني، 1434هـ/2013، صفحة 21)[19]؛ بل إنّ الخادمة لا ينبغي لها أن تعترض على قرارات سيدتها (زوجة سيّدها علي بن أبي أميمة) فقال السّارد عن ياسمين، ((لقد أدركت (ياسمين) أنها تخون سيدتها، وتحاول جاهدة أن تخطف منها رجلها، و((لمياء)) زوجة، (علي بن أبي أميمة)، و(ياسمين) مجرد جارية مشتراة والفرق بين الاثنتين شاسع جدًا (فياسمين) ظالمة بالتأكيد)) (الكيلاني، 1434هـ/2013، صفحة 25)، فالنسق المضمر بين الأنا والآخر يؤكد الطبيعة الجدلية بين السيد والعبد ، أو بين الرئيس والمرؤوس ، وفي هذا إيحاء من السارد في أن الحق مع السيد ولو كانا ظالم ، وأن الخطأ والتقصير من نصيب العبد ولو كانا مظلومًا .

- يختلف شعورياسمين تجاه سيّدها (علي بن أبي أميمة) ؛ فبعد أن كانت تتودد إليه وتطلب قربه، ثم تحوّلت في شعور مغاير ومخالف لما سبق، بحيث صارت خوفه من معرفة سرّه من قبل زوجته ممّا يزعجها وترفضه، وقد عبّر عن ذلك السّارد بقوله ((شعرت (ياسمين) بكراهية مفرطة نحو سيدها، لقد فسرت سلوكه على هواها فاتهمته بالجبن والتردد...)) (الكيلاني، 1434هـ/2013، صفحة 54)، هذا ما قالته (ياسمين) لنفسها وهي تستعيد ما مرّبها منذ أن جاء مولاها، أجل العبودية قدركل البشر الذين تعرفهم)) (الكيلاني، 1434هـ/2013، صفحة 43)، وعندما ذكر السّارد الر ايات السوداء التي كانت رمز العباسيين، فقال : ((كانت الر ايات السوداء .. شعار بني العباس.. تخفق على المباني والأشجاروأعمدة الطرقات..)) (الكيلاني، 1434هـ/2013، صفحة 64).

3.1.3 تفجير المسكوت عنه:

يسعى الكاتب في كتابة سردياته إلى إظهار المخفي والمسكوت عنه في حركة إيحائية بوجود النسق المضمر، ويتواطؤ الجميع على إخفائه؛ ومن بينها تناول الموضوعات المتعلقة بالمقدسات الاجتماعية، كالدين، و الجنس .. وغيرها من الموضوعات الحساسة، التي يلجأ المجتمع والأفراد إلى استعمال الإيحاء والكناية عند الحديث عنها، وقد يمتد ذلك إلى موضوعات السياسة وطرق التسيير، وهو ما أشار اليه

السّارد، عندما ذكر تصرّف العبد ميمون لما رأى الشاعر (أبولؤلؤة)، فقال: ((كان ((أبو لؤلؤة)) شاعرًا من الدرجة الرابعة أو الخامسة؛ بل إن الكثيرين لا يؤمنون بشاعريته ... يعيش عالة على أصدقائه وعلى من ينشد فيهم أشعاره ممتدحًا)) (الكيلاني، 1434هـ/2013، صفحة 20)، فقد بيّن السارد قيمة الشعراء ودرجاتهم عند الخلفاء والأمراء أثناء قيام الدولة العباسية؛ ومن بينهم ((أبو لؤلؤة)) الذي كان يعيش على أعطيات وصدقات ممدوحه، وفي هذا فضح من السارد وحديث عن مسكوت عنه لدى المجتمع الإسلامي إبان تلك المرحلة من عمر الدولة الإسلامية، ويتحدّى هذا الشاعر حكام بني أمية الذين بدأ ملكهم يزول بانتصار أبي مسلم الخرساني على مناوئيه من بني أمية ويفجر السارد هذا المسكوت عندما يصف ((أبا لؤلؤة)) بأنه ((يترنم بشعره الركيك الذي يهجو به بني أمية المنهزمين، ويهتف بأبيات أخرى يمجد فيها انتصار العباسيين، وبطولة (أبي مسلم الخرساني) قائد جيوشهم، ويمدح فيه صديقه الفارس المغوار ((علي بن أبي أميمة)))) (الكيلاني، 1434هـ/2013، صفحة 34) ، فقد ألمح السارد إلى دور الشعراء في نصرة الحركات التغييرية في العالم؛ و من ذلك قيام الدولة العباسية على حساب الدولة الأموية، وفي هذا تفجير لمسكوت عنه من قبل المجتمع، وفي مقدمتهم الطبقة المثقفة التي لم تعط كبير أهمية لدور الشعراء في التغييرات التي شهدتها المنطقة في تلك المرحلة التاريخية، وقد أظهر المسكوت عنه من خلال طبيعة العلاقة بين الشاعر والقائد الذي يريد أن يأخذ بثأره لمقتل أبيه ممثلاً في((علي بن أبي أميمة)) .

- تناول السارد المسكوت عنه في السرد من خلال الحديث عن تباين العطاء بين الحاكم أو المسؤول الذي يتّسم عطاؤه بالسخاء والكثرة مما يدخل الفرحة على الشاعر المتكسّب؛ بينما لم يحصل إلا على دريهمات قليلة من مناوئي الحاكم ومن لهم هدف في الحياة ، وقد صوّر السارد هذه الوقائع من خلال عملية التبئير الروائي، للشاعر ((أبو لؤلؤة))، ((.. وأسرع إليها، (زوجته) وأخذ ينثر أمامها بعض الدنانير الذهبية ويقول:

((-((انظري.. هذا نتاج قصيدتين اثنتين.. مدحت الحاكم فأعطاني صرة بها خمسة دنانير، ومدحت ((علي بن أبي أميمة))، فلم يجد علي بغير ثلاثة.. هذا بداية الخير)) (الكيلاني، 1434هـ/2013، صفحة 83).

وفي معرض الحديث عن طبيعة الخلاف بين الأمويين والعباسيين أشار السارد إلى أن الخلاف يعدّ في نقاط ثانوية ليست مبدئية عن الغريب (إبرهيم بن سليمان الذي أوى إلى علي بن أبي أميمة فيقول : ((.. فالأمويون يخافون على أنفسهم ويأبون حمايته خوفا على حياة من يخالفهم، والعباسيون يكرهونه لتاريخه الملوث بالدم والعار، والمصير يعرفه الله وحده)) الكيلاني، 1434هـ/2013، صفحة 93) ، فهذا من أوجه المسكوت عنه لدى المجتمعات العربية والإسلامية، وهو عدم الجهر بالموقف

الصحيح عند وجود اختلافات المصالح لدى المتنافسين والمتصارعين على المصالح والمكاسب، وعند تحقق النصر تميل الأغلبية إلى المنتصر، كما حدث لما انتصر دعاة بنو العباس على بني أمية، وقد اتخذوا الرايات السوداء شعارًا لهم، ورسالة فيها إيحاء بأنهم سيطروا على مقاليد الحكم في الدولة الإسلامية، وقد عبر عن ذلك السّارد بقوله: ((.. وفيها الرايات السوداء التي مازالت تخفق عالية مؤكدة استتباب الأمر للعباسيين)) الكيلاني، 1434هـ/2013، صفحة 120).

4 . آليات تشكيل الأنساق من خلال الأبعاد :

1.4 البعد الديني:

يظهر البعد الديني في الممارسة الشعائرية للأفراد والجماعات، ويعدّ التقسيم الطائفي والديني من أبرز مظاهره، وفي المتن الروائي المدروس (الرايات السوداء)؛ تبرز تنوعات المجتمع الإسلامي عند قيام الدولة العباسية من خلال طوائف دينية مساندة للعباسيين، وأخرى لا تزال مؤيدة للأمويين، وثالثة لها انتماءات دينية مستقلة عن الفريقين، وكل هذه الطوائف تشكل نسق مضمر للتحالفات، والمساندة لكل طائفة، وقد أشار إلى ذلك السّارد عندما تحدث عن هذه التقسيمات فقال عنهم: ((خوارج وعباسيون ويمنيون، حتى البيت الأموي نفسه منقسم إلى طوائف..)) (الكيلاني، 1434هـ/2013، صفحة 04)، فقد عدّد السارد أطيافهم وألوانهم حتى يبرز النسق المضمر لتعدد الأفكار والاتجاهات خلال قيام الدولة العباسية .

كما يظهر البعد الديني والنسق المضمر ظاهرًا للعيان، في موقف علي بن أبي أميمة تجاه الأمويين، و قد عبر عنه السارد على لسان شخصية (لمياء)، زوجة علي بن أبي أميمة، ((.. كان زوجي يكره الأمويين بادئ الأمر لخلاف في الرأي ، أما منذ تلك الحادثة ، فقد كرههم بسبب الرأي وبسبب اغتيال أبيه، فقد تحول خلاف الرأي إلى حقد أسود..)) (الكيلاني، 1434هـ/2013، صفحة 07)، فوجود روح الانتقام في المجتمع تعكس رغبة مضمرة في عدم تجاوز الخلافات ومبدأ التسامح الذي يبني الثقة والطمأنينة داخل المجتمع الواحد، وهو واقع نعايشه في مختلف المواقع التي ترفض الاختلاف والتعدد في الرأي.

2.4 البعد التاريخي:

يسجل التاريخ الأحداث الماضية، ويقدم لنا قراءته لهذه الأحداث، ويستلهم السارد منه أنساقًا تعطي إيحاء بقيمة البعد التاريخي، ففي رواية (الرايات السوداء)، نجد حديث السّارد، عن ظروف قيام الدولة العباسية على لسان ياسمين جارية علي بن أبي أميمة،فقال: ((((لقد انتهت الحرب، وانتصر سيدي، وسقط حكم بني أمية، وهاهي الرايات السوداء، شعار بني العباس تخفق في كل

مكان، معلنة النصر التاريخي الأغر، وبانتهاء الحرب ينتهي العذاب، ويعود الحب والسلام..)))) (الكيلاني، 1434هـ/2013، صفحة 07، 08)؛ هذه الظروف التي وصف فيها السارد تلك الأحداث تعبر عن نسق تاريخي مضمر لو اقع جديد تدشنه الأمة، ويأمل الناس منه الرخاء والهناء؛ لكن الوقائع التاريخية تبين بعد قيام الدولة العباسية، وجود مرحلة تصفية حسابات و انتقام ضد بني أمية ومن ولاهم؛ كما أنّ معاملة جنود بني العباس لما استولوا على الحكم فقد عاملوا الناس معاملة سيئة؛ ومن بينهم بعض الشيوخ؛ كالشيخ عبد الله صهر علي بن أبي أميمة، ((((- لقد وصل الساعة خادم مولاي ((الشيخ عبد الله)) يحمل رسالة مهمّة ويلح في طلب لقاء سيدي..)) (الكيلاني، 1434هـ/2013، صفحة 161) ، ويضيف الشيخ عبد الله في توجيهه رسالة إلى علي بن أبي أميمة - ((.. أما بعد، فقد داهم بيتنا – ذات مساء – رجال من بني العباس، يلبسون لباس الجنود، و انقضوا على صهرك ((الشيخ عبد الله))، و أوثقوه بالحبال، وعاملوه في جفاف وقسوة)) (الكيلاني، 1434هـ/2013، صفحة 162)، فهذه العبارات تكشف بإيحاء من السارد طبيعة المعاملة التي عامل بها العباسيون خصومهم.

3.4. البعد العِرقي:

يعدّ العِرق من مكونات الهوية، وهو يضمن استقرار المجتمع إذا تم تكامل مختلف الأعراق ضمن جسد واحد، والنسق المضمر الذي يمثله البعد العِرقي في المتن الراوئي المدروس له أهمية في استقرار الأمة والمجتمع، وفي هذا إيحاء من السارد بوجود عوامل ساهمت في زوال دولة بني أميّة وقيام دولة بني العباس؛ ألا وهو وجود أعراق غير عربية ساهمت في قيام هذه الدولة وما وجود زعيمها (أبو مسلم الخرساني) - نسبة إلى بلاد خراسان وأهل خراسان شمال إيران حاليا- الذي لعب دورًا مهمًّا في الإطاحة بالدولة الأموية وقيام الدولة العباسية، وقد أشار السّارد إلى دوره المهم حين قال : ((.. وبطولة (أبي مسلم الخراساني) قائد جيوشهم ..)) (الكيلاني، 1434هـ/2013، صفحة 34)، إلا دليل على دور الأعراق الأخرى في قيام وبقاء الدولة لمدة طويلة،كما تطرق السارد إلى أهمية هذا البعد لما ذكر بعض الأعراق ، ومن بينهم العِرق الحبشي، وقد مثّله العبد الحبشي (ميمون) خادم علي بن أبي أميمة عندما قال السّارد في وصفه ((وكان ميمون الأسمر عبدًا حبشيًا يعمل في خدمة مولاه (علي) ويهتم ببستان بيته)) (الكيلاني، 1434هـ/2013، صفحة 17)،فوجود هذا العرق واستغلاله في خدمة بيوت الأمراء والكبراء في الدولة العباسية ضروري في تلك الفترة .

كما نجد من الطو ائف ما بتعلق بمكونات هوياتية مثل طائفة الشيعة والخوارج، والأجناس الأخرى كالمصريين واليمنيين، والأمويين، والعرب والفرس، ويبدو هذا في قول السّارد ((هاأنتم ترون الناس شيعة وخوارج ويمنيين ومصريين وعباسيين وأمويين وعرب وفرس، والخلافات دامية بين كل هذه الطو ائف، ولن تجف الدماء..)) (الكيلاني، 1434هـ/2013، صفحة 36)؛لكنها مختلفة فيما بينها.

كما نجد ذكرًا لطوائف أخرى أجنبية مثل طوائف وأعراق، مثل العِرق اليوناني والهندي والفارسي في قول السّارد ((- يقولون إنه ماهر، وأن لديه كتبًا ترجمها عن حكماء اليونان والهند والفرس من يدري ؟ قد يكتب الله على يديه الشفاء ..)) ، (الكيلاني، الرايات السوداء، 1434هـ/2013، صفحة 45)؛

ولم يغفل السّارد دور العِرق العربي ودوره الاجتماعي والتاريخي، عندما تطرق إلى أن ((.. الشعر أعظم وسام يضعه العربي على صدره ..)) (الكيلاني، 1434هـ/2013، صفحة 80)، ليعرض مساهمة العرب تاريخيًا ، من خلال الشعر الذي يعد ديوان العرب، وهو ذاكرتهم عبر التاريخ، وفي هذا إيحاء من السّارد لمساهمتهم المتواضعة بمقابل ما قدّمه غيرهم من الأعراق، كما نجد إشارة إلى تعدد العِرقيات في المجتمع العباسي، وقد امتزج هذا العِرق بباقي الأعراق- خاصة العِرق الفارسي – وأسسوا دولة ذات حضارة لا تزال آثارها إلى اليوم، وقد أشار السارد إلى بعض مدنها، وهي مدينة (مرو) ، فوصفها بأنها مدينة فخمة وشاهقة وهي تعبر عن تمازج الأعراق العربية والأعجمية فقال: ((.. إلى جانب مبانيها (مدينة مرو) الفخمة الشامخة التي يختلط فيها الفن العربي بالفن الأعجمي)))) (الكيلاني، 1434هـ/2013، صفحة 119)، وفي جانب تأييد العِرق الفارسي للدولة العباسية الناشئة يذكر الشاهد التاريخي في ذلك، ((((.. ولم يستطع أن ينكر أن العنصر الفارسي الذي أيد الخليفة الجديد وكافح من أجله..)))) (الكيلاني، 1434هـ/2013، صفحة 185)، وكذلك في قوله ((يمتزج فيه الدم العربي بالدم الفارسي..)) (الكيلاني، 1434هـ/2013، صفحة 206)، فالنسق المضمر يحيلنا إلى أهمية الوحدة والمساندة من قبل جميع مكونات المجتمع الواحد من أجل النجاح وتحقيق الأهداف، من خلال امتزاج الدماء ببعضها ، فتصير كأنها دم واحد ، وهو ما حققته بفضله الدولة العباسية عند قيامها .

5. خاتمة:

من خلال تناولنا للمتن الروائي، (الرايات السوداء) للكاتب نجيب الكيلاني، يمكننا أن نستخلص ما يلي:

- إنّ عنصر النسق المضمر تعبير عن مكنونات وخلفيات ترتبط باتجاه معين في الحكم والتصرفات، وقد حاول السارد في المتن الروائي المدروس؛ الإشارة إلى الخلفية التاريخية والسياسية والاجتماعية التي سبقت سقوط دولة إسلامية وقيام دولة على أنقاضها وما خلفته من تغيرات على المستوى السياسي والاجتماعي والثقافي الذي طرأ على الدولة الإسلامية الجديدة (الدولة العباسية) في إحدى محطاتها؛

- نقلت الرواية الواقع الديني والاجتماعي والتاريخي والعِرقي أثناء سقوط الدولة الأموية ، وقيام الدولة العباسية؛ فقد صورت لنا نهاية مرحلة تاريخية ممثلة في زوال الدولة الأموية، وبداية عهد جديد بقيام الدولة العباسية، في تصوير يمزج بين الواقع والتراث.

- تظهر الأبعاد النسقية في الرواية ممثلة في البعد الديني الذي يظهر الهوية الإسلامية المتّسمة بتعدد العرقيات والطوائف؛ من بينها، العنصر العربي، والعنصر الأعجمي ممثلاً في الأجناس غير العربية من الفرس، والحبشة ..الخ، وقد كان لتعدد الطوائف والعرقيات؛ خاصة الفارسية دور في سقوط الدولة الأموية، وقيام الدولة العباسية .

- تعدّ الأنساق المضمرة في الرواية بمثابة طلب لإعادة استذكار الماضي، ومحاولة فهم الأحداث التي رافقت هذه التغييرات على مستوى العالم العربي والإسلامي، مع التركيز على الخلفيات المضمرة التي رافقت ونتجت عن هذه الأحداث الكبرى على مستوى الأمة ككل ، ولا تزال الأمة تعاني من تبعاتها إلى اليوم (اختلاف المذاهب بين سنة وشيعة وطوائف أخرى) بتوجيهات الاتهامات ومهاجمة بعضها لبعض إلى درجة الاقتتال.

قائمة المراجع :

ابن فارس ,أ1399) .هـ1979/م .(مقاييس اللغة .مصر :دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

الغذامي ,ع .ا .(2009) .القبيلة والقبائلية، أو هويات مابعد الحداثة .الدار البيضاء :المركز الثقافي العربي.

الغذامي ,ع .ا .(2005) .النقد الثقافي ،قراءة في الأنساق الثقافية العربية .المغرب :المركز الثقافي العربي.

الكيلاني ,ن1434) .هـ .(2013/الرايات السوداء .مصر :الصحوة للنشر والتوزيع.

الناصر ,ا .ا .(15 04 ,2019) .دلالات الخطاب الروائي، مجلة مسارب الأدبية .السودان ,السودان.

ايزا برجر ,ا .(2003) .النقد الثقافي، تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية .مصر :المجلس الأعلى للثقافة.

بن تومي ,ا .(2017) .تشريح العواضل البنيوية والتاريخية للعقل النقدي العربي ، دراسة في الأنساق الثقافية العربية، الكلية والجزئية .لبنان :مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث.

شرابي ,هـ .(1992) .النظام الأبوي وإشكالية التخلف .لبنان :مركز دراسات الوحدة العربية .

كاظم ,ن .(2004) .تمثيلات الآخر ، صورة السود في المتخيل العربي الوسيط .لينان :المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

مفتاح ,م .(2010) .معالم نحو تأويل واقعي .المغرب :المركز الثقافي العربي.

ميجان، الرويلي، البازعي، سعد .(2002) .دليل الناقد الأدبي .المغرب :المركز الثقافي العربي.

ويلك ,ر .(2000) .تاريخ النقد الأدبي الحديث .القاهرة :المجلس الأعلى للثقافة.